

## ملاحم الغربية في الشعر المعاصر ( ديوان غريب من اليمن )

المدرس الدكتور

جاسم عالي رومي

جامعة البصرة/مركز دراسات الخليج العربي

### الملخص :

يتحدد مفهوم الغربية في الشعر بأنه نتيجة للعوامل النفسية والمكانية والظروف الاجتماعية الخاصة التي تعصف بالشعراء في المجتمعات الإنسانية القديمة والحديثة فتجعل هذه الظروف منهم حالة خاصة ومتميزة يتفرد بها أكثر من شاعر في هذا المضمار من ألوان الشعر والأدب بصورة عامة وهذا ناتج عن تجليات أو ارهاصات الشاعر في مجتمع ما . ويكون هذا على شكل صراع يحتدم بين الشاعر وقيم مجتمعه الداخلية التي قد تكون عائقاً أمام تطلعاته ، وهذا ماحدث لشاعرنا عبدالرحمن محمد العمراني الذي اصطدم بظروف واقعة في بلاده.

### **Expatriation Features in contemporary Yemeni Poetry ( Expatriate from Yemen Divan )**

#### **Abstract**

Expatriation Conception in Poetry defined as psychological and Spatial factors, and Social Conditions that affects the human Societies and make from these Conditions a special and a unique Case which is characterized by more than one poet in this area , and this is result of poets beginnings of a community turns to a conflict rages between the poet and the internal Values of Society which may be hindrance to their aspirations and this is what happened to the poet Abdul Rahman AL umani.

مما لاشك فيه أن الغربية ظاهرة انسانية موجودة في عند أغلب الافراد في المجتمعات البشرية في شتى الازمنة . ولهذا يؤكد الفلاسفة والمنظرين أن التطور الحضاري والثقافي الذي يصيب الشعوب يزيد من تفاقم هذه الظاهرة الملازمة لها. أو يعود أحياناً الى عامل آخر كالعامل السياسي المتمثل بأنظمة الحكم. وهذا ما حصل في بلاد الذي نحن بصدد دراسة شاعرٍ منها هو(عبدالرحمن محمد العمراني) ، من خلال ديوانه (غريب من اليمن ) الذي حاول فيه أن يصور واقعه وأحاسيسه ، وآراءه ومعاناته الفردية والجماعية ، محاولاً أن يكون من أحاسيسه هذه نغمات مستساغة وعذبة سيمفونية غربة حزينة، وقد ركز على قضية الغربية خارج اليمن وداخله ، وقد كانت الغربية في هذا الديوان طريقاً الى اقتحام الكثير من قضايا اليمن المعاصرة والقضايا العربية بشكل أوسع .

لذلك آثرنا أن تكون مادة مكونة من مكونة من مقدمة عن فحوى البحث ، تلحقها ثلاث عنوانات وهي الاول : الغربية ظاهرة شعرية عند أغلب الشعراء مع التطبيق قصائد من الديوان، وأما العنوان الثاني : فقد درسنا فيه الغربية المكانية التي عانى منها الشاعر في بلده واماكن أخرى كفرنسا مثلاً ، وقد جاء العنوان الثالث : بصيغة الغربية الزمانية أو النفسية التي مر فيها الشاعر مطبقاً على قصائد ديوانه . وكان هدفنا من ذلك ابراز قدرة الشاعر اليمني على تجسيد هذه الظاهرة في المرحلة المهمة التي عاشها الشعب اليمني ، وهي مرحلة تسلط حكم الامامة الذي كان على صلة بالدول الاستعمارية في ذلك الوقت ومعاناة الشعب اليمني من جراء هذه الحقبة .

### الغربة ظاهرة شعرية

تعد الغربية من الموضوعات عند اغلب الشعراء الذين عانوا غربة حقيقية، وهي واضحة في أدبنا العربي القديم والحديث وهي قضية فكرية فلسفية لدى الشاعر، بل لعله يتميز بملامح قلما تكاملت في موضوعات أو ظاهرة شعرية أخرى، لذلك اعتدنا أن نرى هذه الموضوعات الشعرية بأطر مختلفة تتميز كل

واحدة من الأخرى، وهذا يتجلى عند أغلبهم ونخص منهم أبا تمام في حماسته إذ انقسم الشعر لديه على أقسامه آنفة الذكر التزم هذا التقسيم في الشعر العربي القديم، أما الشعر العربي الحديث، فقد أخذ منحى آخر وهو: الشعر الرومانتيكي - الرمزي - الواقعي - الحر<sup>(١)</sup> .

وقد حصلت أمور عدة سعت إلى ترسيخ هذه الظاهرة في كل تشعباتها أي أن: (هناك ظروفاً اقتصادية - أو حضارية بمعنى أدق - كان لها أثرها في اتجاهات شعر الحنين والغربة خلال سيره وتنقله عبر الزمان والمكان ، فقد ضمرت فروع، ولكن نبتت فروع أخرى ، وكان الظن أن التطور الحضاري الهائل الذي يطبع الحياة المعاصرة ، والاتجاهات الأيديولوجية يمكن أن يكون لها أثرها في وقف سير التيار ، وتحول الغربة إلى آفة ، ولكن الواقع غير ذلك ، كل ما في الأمر الاغتراب أصبح اغتراباً منظماً)<sup>(٢)</sup> .

ولهذا كان معظم الشعراء عن الغربة وحب الاوطان وتجليات الماضي والحاضر فقد: (كانت مطالع قصائدهم في كثير من الأحيان ، حديثاً عن الأطلال، وإحساساً بالغربة بعد الأناج وحنيناً طويلاً إلى الديار ديار أحبابه الراحلين ، كما لاحظ ابن قتيبة - في مقدمة - ( الشعر والشعراء ) ، ولسنا هنا بصدد إحصائيات ، وإلا لهالتنا وفرة شعر الأطلال ، ولكننا بصدد رصد المشاعر)<sup>(٣)</sup> .

يقول عبيد بن الأبرص في معلقته واصفاً هذه الحلة :

أفقر من أهله ملحوب	فالتطبات فالذنوب
وبدلت منهم وحوشاً	وغيرت حالها الخطوب
أن يكن حال إجمعوها	فلا يرى ولا عجيب

ولاشك أن: (الإفقار والجذب صورة لانعكاس المنظر على نفسية الشاعر الذي أحس بتبدل المكان، وكثرة الوحوش فيه ، وينتقل بين الطرق مستوحشاً بين (ملحوب القطيبات) ، فلا يجد إلا الأمل الضائع والصورة نفسها نجدها تتكرر في المقدمات الطلية)<sup>(٤)</sup> .

وهذا يتمثل عند أغلب الشعراء الذين يميلون الى الاسترجاع وحب الماضي ، إذ: (اراد هذا الشاعر أن ينبهنا على ملامح الماضي المطلق والحنين المستمر (Nostalgia) يعصره في كل ذكرى وموقف مع الطبيعة، مع نفسه، وأحلامه ، إلا إننا لانلمح فيه السخط على المجتمع، مثلاً في كثرة القيود التي يعاني من آلامها الإنسان في باقي المجتمعات على قدر ما نلمح الغربة النفسية الناجمة عن التمزق والتشتت بين الماضي والحاضر، وكذلك الغربة الحضارية الدخيلة التي أثرت في نفسية الشاعر، أثرت عباراته الأدبية من خلال مشاعره الدفينة مع الذكريات)<sup>(٥)</sup>.

ويحدث ذلك أن الغربة في الأدب هي تعبير عن صورة العامة والخاصة وعن تجليات بالغة الأهمية لدى الشاعر، أي: (تتمثل في الأدب عامة، وفي الشعر خاصة، عن سمة بالغة الأهمية والخطورة ويحلها مكاناً، يمكن أن نضعه في مقدمة اهتمامات النص الشعري، حيث تتعدد أنواعه وأشكاله نتيجة للانعطافات الحادة والتغيرات الكبيرة التي تطرأ على العالم وأنظمته وعلى علاقات الفرد ووعيه، وبديهي القول بأرتباط القصيدة بزمانها ومكانها وربما ارتبطت كذلك بأغترابها، فحينما تسلك القصيدة مسلك التصوير الواضح للاغتراب عبر مضمون إنساني مناسب وصريحة فأنها تؤكد نبذها للتصوير الهرموني الذي يوظف الخيال للخروج من رعب تجسيد الاغتراب)<sup>(٦)</sup> .

وهذا ما حدا بالشعراء الذين يعيشون الغربة ان تظهر لديهم النزعة الذاتية المسرفة وعند اغلبهم وذلك في تباين آرائهم في الحقائق النفسية والكونية فكأن بينهم من أعتمد الترابط الغريب بين الأشياء ، الذي يعجز العقل الواعي عن إدراكه ، وجاء بصور شعرية غريبة وغامضة يعسر على القاريء تصورها . ومنه من أعتمد الفكر الواعي الوصول الى العقل المجرد<sup>(٧)</sup> .

وقد تمثل هذا لدى شاعرنا ( عبد الرحمن محمد العمراني ) الذي نحن بصدد دراسة غربته من خلال قصائد ديوانه (غريب من اليمن) ، إذ تجسدت بداية الغربة لديه بقصيدة (طالب يمانى في بغداد) إذ يرى في بلده الغربة فيحاول أن يرتحل إلى بلد أكثر أمناً وهو العراق وخاصة عاصمته بغداد ويشدو بحنينه لها قائلاً :

جئت من صنعاء أشدو  
 بشعوري وخيالي  
 فيك يا بغداد أرض أل  
 فن ديوان الليالي  
 كل زهر في حديقة  
 بربي صنعاء الشقيقة  
 وطبور تتغنى  
 فوقها نشوى طليقة  
 حملتني ألف شوق  
 وأخوات وثيقة  
 لك يا بغداد يا أر  
 ض الحضارات العريقة<sup>(٨)</sup>

يعبر الشاعر هنا عن حبه لبغداد من خلال ما يحمله من مشاعر وروابط قوية كان يمثلها شعوره النفسي وما يجيش في خياله من تصور عن بغداد التي تزهو بربوعها الخضراء لأنها أم الشعر والأدب ، أرض الخير والعطاء ويشبه شوقه وحنينه وهو يتعد عن صنعاء بأنه كالطير المسافر الذي يرفرف بجناحيه طليقاً مسافراً تحمله نشوى كبيرة تجاه بغداد الحبيبة من صنعاء وأهلها . وهنا يترك غربته التي كان يعيشها بمجرد خروجه من صنعاء حتى يصل بغداد حيث الحرية ومهد الحضارات العريقة موطن حرية الشاعر التي يبحث عنها - ويقول في مقطوعة أخرى واصفاً نفسه وروحه كأنها طفل صغير يجهل أشياء أخرى في حياته إلى أن يكبر ويصبح يافعاً:

جئت والقلب كطفـل  
 في مجال الحب يجهـل  
 نبضه يهتف بالحب  
 ولكن كيف يعمـل ؟  
 لم يعش لقيـا الغـرام  
 واشتياق متبـادل  
 حرم القلب من اللقيـا  
 لأنني كنت أخرجـل ؟  
 علميه كيف يهـوى  
 كيف بالجرأة يفعـل

واعيريه لسان آل

عشق حتى يتغزل<sup>(٩)</sup>

هنا يؤكد الشاعر براءة حبه ويشبه نفسه كطفل صغير لا يفهم معنى الحب الذي يدفعه إلى بغداد وهل يحكم ذلك رباطة جأش أم لا ، ويؤكد أنه فقد ذلك في بلده ووجده في بغداد ، فهو كطفل بريء في حبه لا يشوبه أي غبار ولم يعهد ذلك من قبل وهذا ما يؤكد الحرمان الذي يعيشه حتى انه يخجل أن يقول أنا عاشق قادم من بلد آخر وهو صنعاء . ويثبت ذلك لان بغداد بلد الغنى والفن والأدب .

أي أننا نجد أن:(الشاعر العربي يرحل تاركاً أحبابه أو يرحل أحبابه ويتركونه نتيجة ظروف اقتصادية ، كان يشعر شعوراً عميقاً بالغربة فالحب وجداني ومادي والغربة افتراق وجداني ومادي والحب كما قلنا معادل لاستمرار الحياة وخصوصيتها والغربة معادلة لتوقف هذا الاستمرار ومعادلة للجذب والجفاف)<sup>(١٠)</sup> . وفي قصيدة أخرى للشاعر ( عبد الرحمن محمد العمراني ) بعنوان (يا زميلي الغريب) التي يتحدث فيها عن غربته مع زملائه وما جناه من تلك الغربة وهل يستطيع توظيفه في وطنه الذي يعاني الجهل والظلام والفقر والحرمان فهل يرحل غريباً عنه أملاً في العودة له ليراه أكثر أمناً واستقراراً فيقول :

يا زميلي نحن في غربتنا

نزرع العلم ليبنى في الوطن

نصير لعالم بحثاً عن غد

أمجد نحمّله نحو اليمن

نسحب الشمس إلى موطننا

إن يكن إشعاعها علماً وفن

هذه الآمال للشعب بنا

فإذا مالم نحققها فمت

يا زميل العلم كن أنت على

مستوى آمال شعب ممتحن<sup>(١١)</sup>

هنا الشاعر يعيش غربته في موطنه الأصلي حيث يعاني من الجهل والفقر والحرمان والتسلط تحت سبات طويل، لذا يصر الشاعر على عيش الغربة في سبيل

وطنه ورفعته فهو يعاني غربة حقيقية بحثاً عن غد جميل يصوره في سحب خيوط شعاع الشمس أي الضوء والعلم إلى بلده بدلاً من الظلم والجهل ونسجه كفنأ ليؤد هذا الظلام والجهل معولاً على آمال الآخرين بهم وبقدرتهم على فعل ذلك الشيء من أجل بلدهم اليمن .

وفي قصيدة أخرى بعنوان (ليلة عيد الميلاد) يسجل الشاعر فيها عمق غربته في بلاده التي تعاني الفقر والحرمان نتيجة مايدور فيها من حرب شعواء ، فهو هنا يصف نفسه بأنه غريب فيها على الرغم من عيشه في بلد آخر وهو العراق ، لذا يصف ليلة عيد الميلاد وكيف مرت بلاده ويصور كذلك حالة وجعه الذي يحز في نفسه ألاماً فهو يصف ذلك قائلاً

عيد الميلاد بأوربـا  
وبلادي فيه تعيش المـوت  
غنوا ملوا صوت الأفراح  
وأرضي تجل هذا الصوت  
سمعوا الآلات تغنيهم  
الحاناً للقرن العشرين  
لكننا نسمع كهانناً  
يتلون تراتيل الماضيـن  
اللييلة عيد الميلاد  
في الدنيا هل يدري وطني ؟  
هل يدري وطن يعطل ما  
لفظته أوربا من زمن ؟

الشاعر هنا يجسد حالة من البؤس التي يعيشها بلده وانه يؤكد حالة أعم وأشمل وهي عيش بلده على مخلفات الماضي السحيق التي خلفها أو تركها الاستعمار القديم واعتمدها من بعده حكام ساروا عليها ، فيما يتقدم الآخرون بخطوات متتالية معتمدين ماضي الشعوب العميق ، وأي ظلام عاشته أوربا في سباتها الطويل ، وأي حضارة استفادت منها أوربا في خلق مستقبلها الجميل . هذا ما دعا الشاعر أن يردد هذا الترنيل ويعيش غربته الأكيدة .

الغربة المكانية

تعد الغربة المكانية من أهم السمات الشعرية لدى الشعراء القدامى والمحدثين، وذلك لما تحمل من دلالات قوية ومتأصلة في أشعارهم التي عبروا فيها عن عمق تجربتهم الحياتية المليئة بكل تجليات الحياة المعاصرة التي عاشوها وهم يحملون تبعاتها المكانية والنفسية، لذا نجد: (أن الغربة الداخلية تجسد الألم النفسي، والحيرة في المونولوج الداخلي عن طريق التساؤلات التي تطلق الغربة من الغربة)<sup>(١٢)</sup>.

أي أن الشاعر يعبر عن غربته المكانية داخل وطنه آلام كدافع قوي إلى التغيير في واقعه الذي يعيشه متجشماً عناء ذلك في التعبير عن هذا الألم المتدافع من هنا: (لايستطيع - ذاته التحكم بحدودها ، مهما نضجت تجربته الشعرية ، ومهما امتدت به خبرة الزمن - لأن أختلة الشاعر الفنية ، والمتجددة لاتعترف بالزمن وبطبيعة الحال أن الأعتراب الشعري والحياتي للشاعر يعود إلى عوامل ذاتية وموضوعية ، وعوامل روحية ومادية متداخلة ، كما أن فهم الاغتراب كإمكانية ، يرتبط أيضاً- بسلسلة من العوامل الذاتية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية )<sup>(١٣)</sup>.

أما فيما يخص الغربة لدى بعض الشعراء ولاسيما عندما تتعلق بمسألة الوطن الذي يعيش فيه، فنظير لديه كمشكلة مستديمة يعاني منها بأنه غير موجود في وطنه ولا يحيى الحياة الكريمة التي يحلم بها إذ: (تتصل مشكلة الاغتراب بمفهوم الوطن، وقد جمع الجاحظ آراء عديدة من الفلاسفة في معنى ارتباط الإنسان بالأرض ، كأرتباط النبات بها، ثم تطور الأمر إلى مفهوم مادي ومعنوي معاً، حين أرتبط الثبات بها ، ثم تطور الأمر إلى مفهوم معنوي، حين أرتبط بقضايا الحرية) (أنا وطن بلا حرية) والفقر والغنى، الفقر في الوطن غربة والغنى في الغربة وطن، ولكن الأرض مازالت تشد أبناءها وكما تطورت مفاهيمهم وربما حاولوا التخلص من الغربة عن طريق الرحيل، ومن هنا بقي الشعر العربي الحديث فواحاً بزفرات الحنين .

وتتعمق هذه العوامل كلياً في تأصيل هذه الظاهرة لدى الشعراء فحسب ولكن تتعدى إلى حدوث نوع آخر من الغربة قد تكون فردية أو جماعية ويحدث ذلك أن:



( كان الأعتراب المكاني اغتراباً فردياً ، تخلع القبيلة فرداً ، أو ينفي الحاكم فرداً ، أو تضطر الظروف الاقتصادية أفراداً إلى الرحيل ، أما اليوم فتتسع الدائرة وتحتاج إلى تخطيط ، وتصل إلى غربة شعب بأجمعه مثلما حدث في فلسطين )<sup>(١٤)</sup>.

وقد حدث هذا على صعيد الشعراء القدامى وعند أغلبهم ، ونخص منهم ذا الرمة ، إذ تمثل عنده في تعبيره عن الوحشة والعيش وحيداً في الصحراء القاحلة ، تراه يتمثل بهذه الأبيات قائلاً<sup>(١٥)</sup>

عشيرة مالي حيلة غير أنني      بلفظ الحصى والخط في الترب مولع  
أخط وأمحو الخط ثم أعيده      بكفي والغربات في الدار وقع

فقد صور نفسه وحيداً في العراء إلى جوار بقايا الأطلال، تعبت يده بالحصى، كأنما هي قطع الذكريات يلمسها فيثيره الحنين، ولكن إحياءه قوياً بالكآبة والغربة يأتي من توقيع الغربان، وهي تتعق في رتابة مذكرة الشاعر أنه أمام بقايا خربة لآحياة فيها .

وقد تجسد هذا الموقف مع الشعراء الجاهلين ولا سيما شعراء المعلقات فقد عانوا الأمرين في معايشة سقم الحياة وإنكار النفس البشرية وحرمتها : ( وربما كان امرؤ القيس وعترة أكثر شعراء المعلقات إحساساً بالغربة فقد هام الأول شريداً يبحث عن يستعين به في استرداد ملك أبيه والأخذ بثأره ، حتى وصل الى بلاد الروم وهناك أحس بقرب منيته بعد أن امتلأ جسمه بالقروح ، وروى له أبو الفرج الاصفهاني بهذه الأبيات التي تفيض لوعة ومرارة وإحساساً بالوحشة :

أجارتنا أن المزار قريب      وأني مقيم ما أقام عسيب  
أجارتنا إنا غريبان هاهنا      وكل غريب للغريب نسيب

وأما عترة فغربته نفسية حيث تتكرر له أبوه وعمه وقاسى الأمرين من لونه وعبوديته، وحبه الذي وقفت عبوديته حائلاً دونه، وعندما نستمتع إلى عترة يقول:

العبد عبدكم والمال مالكم      فهل عذابكم عني اليوم مصروف

لعلنا ندرك هنا إحساسه العنيف بالهوان والضياع، وهو لون من غربة الفرد في بيئته التي يعيش فيها، وهكذا الشأن عندما نستمتع إليه وهو يتصف (أنا الهجين

عنتره) ولكن عنتره استطاع بعد ذلك التخلص من عبوديته وغربته عن طريق قوته وانتصاراته (١٦) .

وقد تمثل هذا لدى شاعرنا ( العمراني ) في غربته المكانية إذ يصور غربته في وطنه الأصلي واصفاً اياه بأنه عام من الظلام والعمته بسبب ما يحويه من عناصر الاستبداد والسيطرة الرجعية التي خنقت أفواه الناس وكتمت حرياتهم ، إذ يقول من قصيدة بعنوان (خواطر في الغربة) (١٧) :

نحن رحالان كل تائه

في بحر بعدها اليوم سحيق

أترى تبقى شريداً أنت أم

أنت إن أرجع إلى أرضي رفيق ؟

يابلادي شرد الفكر سرى

نحو عهد فيك أمضاء انقاد

عندنا أحلامه ليل قائم

جاء أدهى منه حجنا وأسودادا

أنني أخشى على نفسي غدا

فيه ألقى اليأس في الأجواء سادا

الشاعر هنا يكرر الكلمات (شريداً، شرد، الشر ) كدلالة على الظلام والخوف

من الغد الآتي ، وكذلك (الاتقاد ، الرماد ، الاسوداد ) دلالة على النظرة السوداوية

التي تطارده في خوض مستقبله وعيشه .

وقد عبر الشاعر ( عبد الرحمن محمد العمراني ) في قصيدته (متى أعود)

عن عمق غربته في وطنه وحرارة العودة إليه وهو يعاني غربته مكانية ، ورغبة

في العودة ، ويقرر حالة أخرى وهي أنه إذ عاد الى وطنه سيصطدم مرة أخرى

بغربته في وطنه ، آلام لذا يقول :

متى أعود ؟

متى ستنتهي من الوجود ؟

حكاية حزينة

عنوانها (متى أعود ؟)

حكاية كتبها

بعرقي وبالسهر

بأدمعي ختمتها

بكل أتعاب السفر<sup>(١٨)</sup>

هنا يؤكد على حقيقة غربته المكانية حيثما نراه يكرر عبارة (متى أعود) ، ويردد بعض الكلمات مثل ( الوجود ، السهر ، الشعر) وهي معادل موضوعي للقلق الذي يعيشه بعيداً عن وطنه الذي يعاني الفقر والظلم والجور نتيجة لتسلط أناس لا يعرفون طعم الحياة وقيمتها لدى بني البشر .

وفي مقطع آخر منها يؤكد حقيقة أخرى من حقائق غربته المكانية بسبب الحنين الى مواطن الطفولة ومكان في ذكرياته الأولى للضياء<sup>(١٩)</sup>.

متى متى أعود

لموطن أول مرة رأيت فيه

أوجه الحياة

أعود كي أرى عليه

آخر مرة هناك

أوجه الحياة

وها أنا غريب

تركت دوحتي التي

في عشا ولدت

وفق أغصان بها

شدوت الحان الأمل

وصرت كالطير الشريد

في قفص هنا بعيد

أحلم باليوم الذي

أعود فيه فهو عيد

عيد وأي عيد !

يكرر الشاعر هنا عبارة (متى متى أعود) في درج هذه المقطوعة الشعرية إثباتاً لغربته المكانية التي يعاني منها. وكذلك في الوقت نفسه لايفقد الأمل في عودة الحياة إلى وطنه من جديد من خلال تكرار عبارة (أوجه الحياة). ويصف نفسه بأنه كالطير الشريد من مكان إلى آخر بحثاً عن الاستقرار والامان ولكن لانجد هذا إطلاقاً، وأنه يعاني اغتراباً عنيفاً، ولكنه يؤكد أنه حينما يعود سيصطدم بالواقع نفسه ودون جدوى .

وفي مقطع آخر من القصيدة يجعل الشاعر فيها سبب الغربة المكانية لديه والأساسي هو البحث عن المال ، لذا يجد حلاً لهذه المشكلة ، إذ يقول (٢٠):

موطناً يقال انه

يحمل في أحشائه

طفلاً عجيباً أنه النفط الثمين

لكن متى المخاض ؟

فتلد الحقول

نفطاً وأحلاماً ومنشآت

وعودة لكل كادح غريب

وقوة تزيد في استقلال موطن عزيز

متى متى الميلاد مولد النقود ؟

فالشاعر يصف بلده كالمراة الحامل التي طال مخاضها وهي تحمل النفط الذي تزخر فيه قاع أرض بلاده فهو يحلم بتفجر هذا الخزين من النفط ويصفه بالوليد الجديد الذي سينفذ بلاده من الجوع والفقر والسبب الثاني عودة أكثر المغتربين الذين خرجوا من هذه البلاد بحثاً عن المال والعيش الرغيد .

وفي قصيدة أخرى من الديوان يصف الشاعر لنا غربة شعب كامل عن وطنه الأم، إذ يتحدث عن غربة هذا الشعب وهو شعب فلسطين في قصيدته (أغترابات الفلسطينيين) . إذ نرى هنا مقارنته في مفهومه للغربة عن الوطن ، فهو يراها

ضرورة في غربته عن اليمن بهدف تقدم اليمن ، ويراها خيانة للوطن في ترك

الفلسطينيين لارضهم ، قائلاً :

كل من غادر شبراً

من فلسطين عميل

يترك الأرض لكي يسكن عبري دخيل

يترك الدار فقد قالت إذا غاث العرب

عائدون - عائدون

لم يعد غير النشيد

دعه شبرا عربيا

من صحارى من خراب

ربما ينسب منه

بطل يمحو الضباب

ربما تطلق منه

دانة تكشف في عمق الغبار

بعض شارات النهار

نستخلص مما تقدم أن الشاعر في قصائده هذه يعاني غربة زمكانية حادة لما

تعانيه بلاده من واقع مترد لاينسجم وتطلعات الشاعر المستقبلية ، فهو يرقب الأمل

في العيش الرغيد وأستقلال ثروات بلده على النحو الذي يوفر الحرية لكل الشعب .

### الغربة الزمانية أو النفسية

لايمكننا بطبيعة الحال أن نحدد سمة الغربة النفسية بصورة عامة ، ولكن

يمكن تحديد الغربة على أنها سمة للتحويلات الحضارية والاجتماعية فحسب ، إذ

أنها سمة النفس الإنسانية كما يقررها الفيلسوف شاخت إذ يقول : ( فالمرء لايمكنه

أن يشارك في كافة الجماعات التي ينتمي إليها )<sup>(٢١)</sup> .

غير أن ذلك يزداد وضوحاً واتساعاً مع تغير المجتمع الذي يعيش فيه الشاعر وعمق تطوره الحضاري والعلمي . وهذا ما عبر عنه هيجل فأن حجم ذلك يزداد طردياً : ( مع تزايد الحرية وانتشار التعليم وتصاعد الوعي بالذات)<sup>(٢٢)</sup> . أي الشعور بالذات تدريجياً .

ولذلك نجد أن الغربية في حقيقتها شكل من أشكال الوجود الذاتي والنفسي للشاعر ، يعبر عنه بشتى أشكال التعبير الوجودي ، وقد علل الوجوديون ذلك بأنه القلق على الذات من الطرف الآخر لذا يجعلها في موقف الدفاع والتحصين ضد العوامل الخارجية بطريقة التوقع أو ( التضخم) أو عن طريق مد جسور الانفصال بينها وبين مستلباتها الحقيقية التي تكون في أشكال معينة ( الإنسان مثلاً أو بعض الأشياء الأخرى أو القيم الثابتة) وكلتا الحالتين أصح (التوقع والانفصال) . وقد برزت عند الرومانتيكيين وأندمجنا في أغلب الأحيان أي أنها (خلقت هذه الشخصية لها أمالاً جعلتها تضيق ذرعاً بالمجتمع الذي تعيش فيه ربما يسوده من تقاليد (...)) ومن الطبيعي أن يصحب هذا الشعور المشبوب آراء وأفكار تتصل بالمجتمع والثورة ومركز الفرد)<sup>(٢٣)</sup> .

وتتخذ هذه الثورة القائمة على أساس الرفض لما هو موجود والسعي للتغيير الذي عبر عنه أغلب الشعراء في قصائدهم في مواجهة الاغتراب، لذلك تعد التجارب الأساسية التي ركزت عليها الرومانسية وطورتها هي مشكلة: (تجربة الفرد في مواجهة العالم وحيداً، وقد أصبح ذاكيان ناقص بسبب تقسيم العمل والتخصص. ومن جراء ذلك تفتت الحياة إلى أجزاء صغيرة خدأ بدون أي ربط بينها. وفي النظام السابق كانت المكانة الاجتماعية للإنسان تلعب دور الوسيط بينه وبين الآخرين، فهو يواجه المجتمع وحيداً بدون وسيط، (فأنا المنفردة في مواجهة (اللأنا) الهائلة، وعلى الرغم من تقوية الشعور بالذات، وسبب هذه المواجهة أوجد شعوراً بالفقرية أو الاغتراب والهجرة والضياع للإنسان المعاصر)<sup>(٢٤)</sup> . وهذه العوامل تؤدي إلى اغتراب كامل يحدث بصورة أوسع على صعيد مجتمع بأكمله كما حصل في فلسطين العربية. وقد يحصل الاغتراب لشخص واحد فقط وهذه

أبسط صورة للاغتراب الفردي وأن: (كان الاغتراب الزماني فردياً نجده على سبيل المثال عند المتنبي بقوله، (أتى الزمان بنوه في شببته فسرهم وأتيناها على الهرم)، وقد تجده عند جماعة، ولكن هذه الجماعة استطاعت أن تقضي على اغترابها الزماني مثلما نجده عند المتصوفة، فالغربة الروحية في التصوف، ينقيها الوصول والحب الإلهي ووحدة الوجود، أما المفاهيم المعاصرة فلا مخلص لها الا الثورة الدائمة، والثورية لا يمكن أن تكون اتجاهاً فردياً الآن، فلم يعد عصرنا عصر بطولات فردية، ومن هنا كانت مرهونة بظروف وملابس عديدة يصعب التكهن بنجاحها في كل حين)<sup>(٢٥)</sup>. وهذا يتحدد أيضاً بطبيعة الظروف الاقتصادية والاجتماعية التي يعيشها الشعراء ضمن الشعوب أو تجمعات سكانية وبمعنى أدق: (كان لها أثرها في اتجاهات شعر الحنين والغربة خلال سيره وتنقله عبر الزمان والمكان (...)) وكان الظرف أو التطور الحضاري الهائل الذي يطبع الحياة المعاصرة أو الاتجاهات الأيديولوجية، يمكن أن يكون لها أثرها في وقف سير التيار، وتحول الغربة إلى ألفة، ولكن غير ذلك فكل ما في الأمر أن الاغتراب أصبح اغتراباً منتظماً! <sup>(٢٦)</sup>

وقد تجسد هذا النوع من الغربة لدى شاعرنا عبد الرحمن محمد العمراني في معظم قصائد ديوانه (غريب من اليمن) فنجده يقول في قصيدته (أنا . من أنا؟! ) وهو يقترب زمانياً وبطابع رومانسي بحث يجسد فيه ( معنى وجوده في الحياة) والبحث عن هذا الوجود وتأصيله من خلال قوله <sup>(٢٧)</sup>.

أنا من أنا؟!!

أنا نغمة حيرى تردد منذ آلاف السنين

وغداً ستعزفها مقادير على نأي حزين

أبدأ سيسمعي الزمان

أنساب من شفة الخلود

مادم بين الأحياء يستمع الوجود

لحن الحياة

بشر أنا

الشاعر في هذه الأبيات يؤكد عمق الذات باستخدام (أنا الذات) التي عبر فيها في أكثر من مقطع على تأكيد ذاته من خلال تأمله في الحياة التي تعيشها وهو في حالة من الخوف والتردد منذ آلاف السنين ، وهذا الخوف والتردد يأخذ طابع الحزن والخوف من المستقبل القادم الذي يحمل الشؤم والأبدية متصلا بالزمان الذي يعيشه بصفة (الخلود) منطبعاً بالشفاه الحزينة ، ويؤكد على بقاء هذه الصفة التي لازمت البشر في عالمه المليء بالخوف ، وتأكيداً في الوقت نفسه على تحديد شخصيته ودورها في هذا الكون العائلي .

وفي مقطع آخر يعمق الشاعر هذه الحالة من خلال ترديد (أنا الذات الحزينة) بقوله<sup>(٢٨)</sup> :

أنا من أنا  
أنا ذابت عواطفها على رمل الضياع  
وبغابة المجهول يسكب أدمعي هذا أليراع  
وغداً سأجتتي الذكريات  
من حقل أحلام الشباب  
قد أينعت أشجار أشجان وسقياها سراب !  
نهرا تراه  
هـا و أنا

وتزداد عند الشاعر صفة (ألانا) وذلك للتأكيد نفسه وذاته في هذا الزمان المليء بالضياع الدائم ، حيث يصور نفسه كالماء حين يروي الرمال الضمّانة مصيره التبخّر والانزواء تحت الرمال، ويصور نفسه كذلك أنه في عالم المجهول خاصة في لفظ (الغابة) التي يحكم فيها بشريعة الغاب القوي يأكل الضعيف، وكذلك يؤكد غده الناصع الجميل الذي سيأتي من أحلام الشباب الذين يؤكدون أصالة الماضي والحاضر، ويشبه اندفاعه هذا بجريان النهر وانسيابه نحو هدفه الحاضر والمستقبل .



ويصر على هذه السمة في مقطع آخر من قصيدته ،ويؤكد على (الانا الذاتية لديه) ، إذ يقول<sup>(٢٩)</sup>:

أنا من أنا ؟

أنا سندباد عاد يحمل لاهثاً خفي حنين  
غرقت سمير أميس أحلامي بقعر الرافدين  
سأعود أروي فــــي اليمن  
رحلات قلبي في العراق  
قد كنت في جنات بابل أمتطي خيل المشاق  
في لا أتجاه  
بحر أنا

الشاعر يحاول هنا أن يؤكد ذاته المتمثلة بـ(أنا) الذاتية حين يلمح أو يذكر بأنه سيرجع إلى بلد يصبح فيه غريباً كما ارتحل عنه في البداية، ويعمق حالة أخرى هي حبه لبلاد الرافدين العراق لأنه وجد فيه منابع الحب والوفاء بأرضه المعطاء وخيراته الوفيرة،وحريته الواسعة، ويجسد في نفسه المتعة والشوق لتحقيق ذلك في اليمن بنفس جياشة إلى التحرر من كل قيود الرق والعبودية ، التي يعاني منها في بلاده وضياح الزمن الحاضر والمستقبل لكن في النهاية يحدوه الأمل والشوق لذلك فتجيش في صدره العواطف والعشق تجاه محبوبة وطنه رغم كل الأحوال التي يعيشها معبراً عن ذلك بكلمات الرثاء البكاء للهوى أو العشق الأبدي مجسداً في ذلك أنا أو الذات النفسية ، إذ يقول ويصر على ذلك<sup>(٣٠)</sup>:

أنا من أنا !؟

أنا عاشق بالصمت يعزف قلبه لحن الغرام  
ويعانق الأوهام يلثم جدوده من كلام  
فاذا تجهز للرحيل  
ألقى بأثقال الفؤاد

أفضى إلى المحبوب بالأسرار بالماضي المباد

مـاضـي هـواه

راث أنا . باك أنا . هاو أنا

هذا أنا . هذا أنا . هذا أنا

بأستخدام (ألانا الذاتية) يقرر حالة بلده المستديمة حتى تحقيق كل أمانيه  
بالحرية والازدهار .

وفي قصيدة أخرى له يجسد فيها واقع غربته مع حبيبته بعنوان (أذكريني)  
مصوراً اغترابه الزماني ودوافع الحب مع حبيبته التي عانى معها غربة الزمن  
وتجلياته الوقتية محاولاً إبراز هذا الواقع بصورة أكثر رومانسية وشاعرية من خلال  
تكراره لفظة (أذكريني) في مطلع القصيدة وفي وسطها وفي نهايتها. إذ يقول: (٣١)

أذكريني

أذكريني في الأصيل

عندما أرتقب الليل الطويل

وسميري فيه ذكرى عهد لقيانا الجميل

يكرر الشاعر لفظة (أذكريني) في عدة أوقات ، منها وقت الضحى أو الأصيل  
في قمة تلالؤ الشمس ، وفي ظلام الليل الطويل حين تهيج العواطف والأشجان  
ويخلد المرء إلى ذكرياته الحزينة أو المشوقة مع حبيبته ، ولكن يجمع ذلك ناموس  
واحد وهو اللقيا والافتراق وتجديد العهد بين الحبيين . فهو يعاني اغتراباً حتى مع  
من يحب وهو ما يعبر عليه في مقطع إذ يقول (٣٢) :

واذكريني

أذكريني في المساء

عندما يظلم كوخ البؤساء

وفؤاد حر اللقيا فكل تعساء

وأذكريني

أذكريني في السحر  
بعدهما يرقد سمار السمر  
حين لايسهر الاي وشوقي والقمر

يعمق الشاعر اغترابه الزماني أو الرومانسي من خلال الواقع الذي يعيشه  
الفقراء والحرمان الذي يقيدهم والواقع المزري وانعدام الحريات الشخصية لذلك  
يجعل من هذا كله مرآة لاغترابه في وطنه وعن حبيبته ، كما في استخدامه  
الكلمات (بؤس ، ظلم ، تعس....)، مؤكداً تلاصق ليلة وسحرة مع سمار العشق  
والطرب أو في مسامرة حبيب لوجود له مطلقاً تعبيراً عن الذات مع الذات  
الأخرى . كما في الكلمات (سمار ، السمر ، السحر ، السهر ) .

أما في المقطع الأخير من القصيدة فيصور آخر زمان الكون وهو الصبح  
وإشراقاته الجميلة مع تكرار في كلمة اذكريني ، إذ يقول : (٣٣)

اذكريني  
اذكريني في الصباح  
وشعاع الفجر في الأفق لاح  
حينها تشرق ذكراك بقلب ماأستراح

نستخلص من ذلك أن الشاعر يعاني اغتراباً زمانياً في وطنه ومع أحبابه الذين  
يعيشون معه ، وهذا الاغتراب ناتج عن فقدان الحريات في بلده وتسلط روح  
الأنانية في إدارة الأمور مما حدى بالشاعر أن يترك وطنه والذهاب إلى بلد أكثر  
أمناً واستقراراً هو العراق بلد الحريات والخير والعطاء .

**الخاتمة ونتائج البحث**

يتحدد مفهوم ظاهرة الاغتراب في الشعر بأنه نتيجة للعوامل النفسية والمكانية، والظروف الاجتماعية الخاصة التي تقصف بالشعراء في المجتمعات الانسانية القديمة والحديثة فتجعل هذه الظروف منهم حالة خاصة ومتميزة يتفرد بها أكثر من شاعر في هذا المضمار من ألوان الشعر والادب بصورة عامة . وهذا ناتج عن تجليات أو إرهاصات الشاعر في مجتمع ما . ويكون هذا على شكل صراع يتحكم بين الشاعر وقيم مجتمعه الداخلية التي قد تكون عائقاً أمام تطلعاته . فتخلق لديه نزعه لهروبه من هذا الواقع المرير، وهذا ما حدث لشاعرنا (عبد الرحمن محمد العمراني) الذي اصطدم بظروف واقعه في بلاده التي تعيش تحت حكم رجعي لا يعرف مقدرات شعبه، لذا صور لنا هذه التجليات عبر قصائده في ديوانه (غريب من اليمن) مجسداً فيها جل خلجات اغترابه أملاً في تغيير واقعه هذا عبر المناجاة الإنسانية التي جسدت عمق اغترابه في موطنه الأصلي اليمن، محاولاً ردم هذه الفجوة التي خلقتها الظروف القاهرة، وما جاشت به قريحته الشعرية من معالجات جملة لواقعه. وظهر ذلك على شكل واقع رومانسي حالم بهذا التغيير تمثل بالعوامل التالية:

١. معاناة الشاعر وغربته النفسية قد تجسدت عبر مجموعة من قصائده التي حملت عناوين شتى منها (أنا من أنا)، و ( اذكريني) أكدت واقع اغترابه النفسي والروحي المرير .
٢. تعمقت معاناة الشاعر في غربته المكانية ، حتى أنه بدأ يشعر بأنه غريب في وطنه الأصلي ( اليمن ) ، تمثل في مجموعة من قصائد ديوانه منها ( خواطر في الغربية ) و ( متى أعود ) التي عبر فيها عن قمة اغترابه في بلده ، واصطدامه بواقعه المرير مرة أخرى ، وكأنه لم يحصل على شيء من التطور والنهوض .
٣. عبر الشاعر عن عمق تجلياته هذه ( بالشعر ) كأداة للتنفيس عن ذلك ونجاحه في قصائده ( طالب يمني في بغداد ) التي عبر فيها عن حبه للعراق وعاصمته بغداد و ( يا زميلي الغريب ) كانت خير تجسيد لهذه الظاهرة .

الهوامش

- ١- ينظر: الحنين والغربة في الشعر العربي الحديث : والاعتراب في شعر مابعد الرواد :١.
- ٢- الحنين والغربة: في الشعر العربي الحديث ، والاتجاه الرومانسي في شعر الامارات : ٩٤.
- ٣- الحنين والغربة في الشعر العربي الحديث : ٧-٨.
- ٤- المصدر السابق : ٧-٨.
- ٥- الاتجاه الرومانسي في شعر الإمارات: ٥٤؛ وينظر نستية(د.مصطفى غالب): ١٥.
- ٦- الاعتراب في شعر مابعد الرواد : ١٢.
- ٧- ينظر : الرمزية والرومانتيكية في الشعر اللبناني (أمية حمدان) منشورات وزارة الثقافة والإعلام ، دار الرشيد للنشر ، ١٩٨١ : ٧.
- ٨- ديوان غريب من اليمن : ٦-٧ .
- ٩- ديوان غريب من اليمن : ٧-٨ .
- ١٠- الحنين والغربة في الشعر العربي الحديث : ١ ؛ وينظر : دراسات في الفلسفة الوجدانية (عبد الرحمن بدوي) : ٥٣ .
- ١١- غريب من اليمن : ٢١-٢٢.
- ١٢- الاتجاه الرومانسي في شعر الامارات : ٩٩ ؛ وينظر : الذات والغرائز (سيموند فرويد) ت( محمد عثمان نجاتي ) : ٧٨.
- ١٣- الاعتراب في حياة وشعر الشريف الرضي : ١.
- ١٤- المصدر السابق : ٥ .
- ١٥- المصدر نفسه : ٨-٩.
- ١٦- الاتجاه الرومانسي في شعر الامارات : ٨٧ .
- ١٧- غريب من اليمن : ٦٥ .
- ١٨- غريب من اليمن : ٢٠ .

- ١٩- المصدر نفسه : ٦٩ .
- ٢٠- غريب من اليمن : ٧٠ .
- ٢١- الاغتراب : ٤٩ .
- ٢٢- المصدر نفسه : ٥٤ .
- ٢٣-الرومانتيكية:١٢٣؛وينظر:الاغتراب سيرة ومصطلح(د. محمود رجب):١٥٣
- ٢٤- الغربية والاغتراب في الشعر الكويتي والبحريني ( عبد الامير محسن عودة آل كرار) كلية الاداب ، جامعة البصرة ، رسالة ماجستير ١٩٩٨ : ٢٥ .
- ٢٥- الحنين والغربة في الشعر العربي الحديث : ٥-٦ ؛ وينظر : مقال بعنوان (الاغتراب في الفكر الماركسي) د. شاکر نوري : ٧٠ .
- ٢٦- الحنين والغربة في الشعر العربي الحديث : ٥-٦ ؛ وينظر : الوجودية فلسفة الواقع الانساني (غازي الاحمدي) : ١٣٧.
- ٢٧- غريب من اليمن : ٤٣ .
- ٢٨- غريب من اليمن : ٤٤ .
- ٢٩- المصدر نفسه : ٤٤-٤٥ .
- ٣٠- غريب من اليمن : ٤٥ .
- ٣١- غريب من اليمن : ٥٢ .
- ٣٢- المصدر نفسه : ٥٢ .
- ٣٣- غريب من اليمن : ٥٣ .

**فهرس المصادر والمراجع**

- الاتجاه الرومانسي في شعر الامارات ، هلال عبداللطيف قصير ، اتخاذ كتاب الامارات - الامارات العربية المتحدة .
- تشينه ( د. مصطفى غالب ) منشورات دار مكتبة الهلال - بيروت - ١٩٧٩م .
- الحنين والغربة في الشعر العربي الحديث : د. ماهر حسن فهمي ، معهد البحث والدراسات العربية ، ١٩٧٠ م .
- دراسات في الفلسفة الوجودية(عبدالرحمن بدوي)،مكتبة النهضة المصرية-١٩٦١م
- ديوان غريب من اليمن،للشاعر:عبدالرحمن محمد العمراني،مطبعة اليمن السعيد،١٩٧١م
- الذات والغزاء، سيموند فرويد،ترجمة:محمد عثمان نجاتي،القاهرة،ط٣،١٩٦١م
- الرمزية والرومانتيكية في الشعر اللبناني ( امية حمدان ) ، منشورات وزارة الثقافة والاعلام ، دار الرشيد للنشر ، ١٩٨١ م .
- الرومانتيكية ، محمد غنيمي هلال،دار الثقافة - دار العودة، بيروت ، ١٩٧٣ م.
- الاغتراب سيرة ومصطلح،د. محمود رجب،دار المعارف،مصر،ط٣-١٩٨٣م .
- الاغتراب:رشارد شاخنت: ت :كامل يوسف حسين، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ط١ ، ١٩٨٠ م .
- الاغتراب في شعر ما بعد الرواد ، رسالة ماجستير(علي مجيد عبد علي)، كلية الآداب ، ( بالالة الكاتبة ) ، ١٩٩٧ م .
- الاغتراب في شعر وحياء الشريف الرضي،عزيز سيد جاسم،دار الرشيد للطباعة، بغداد ، ١٩٨٣ م.
- الوجودية فلسفة الواقع الإنساني(غازي الاحمدي )، مكتبة النهضة، بغداد، د.ت.
- مقال بعنوان ( الاغتراب في الفكر الماركسي ) ، للدكتور ( شاكور نوري ) - مجلة الثقافة ، ع ( ٥ ) ، س ( ١٣ ) ، بغداد ، ١٩٨٣ م.
- الغربية والاعتراب في الشعر الكويتي والبحريني ( عبدالامير حسن عودة آل كزار ) كلية الآداب - جامعة البصرة - رسالة ماجستير بالالة الكاتبة ، ١٩٨٩م .